مقدمة

الفصول التى يجمع شملها هذا الكتاب تذكرنى بهذا البيت الرائع الذى ختم به الشاعر الكبير البحترى سينيته الخالدة فى وصف إيوان كسرى ، وهو قوله :

وأرانى من بعد أكلف بالأشـــراف طراً من كل سنخ وأس[1]

فهى تتحدث عن مرقس أورليوس الإمبراطور الرومانى الفيلسوف وبوذا الحكيم الهندى وجيتى الشاعر الألمانى وبلزاك الكاتب الروائى الفرنسى وباكونين الزعيم الروسى وغيرهم من الشخصيات الفذة التى امتازت بحكمتها وأدبها أو بأخلاقها وأسلوب حياتها أو بقواها الخالقة ونمط تفكيرها .

وقد حاولت أن أقدم للقارئ صورة موجزة عن حياة هؤلاء الأفراد النوادر ، وإلمامة عن إتجاهاتهم ومذاهبهم فى التفكير والحياة ، وقد يكون من حق كاتب الترجمة الموجزة أو المطولة أن يطلق لخياله العنان ماشاء له الانطلاق ، ولكن ليس من حقه أن يدخل الخيال ويعتمد على الحدس فى جمع المواد ، وتحرى الحقائق والوقائع ، لذلك عنيت باستشارة أوفى المراجع وأصح المظان ، من غير تعصب لهم أو كسر عليهم ، وقد حذر فرويد فيما أذكر كتّاب التراجم من تحويل موضوع الترجمة إلى صورة أبوية يدين لها الإنسان بالولاء والطاعة ، ويحاول تنزيهها عن العيوب والنقائص ، ونقيض ذلك الكراهة التى تشوه التصوير وتحول دون الفهم الصادق والعطف البصير ، ولكل إنسان سواء عظم قدره أو هان عيوبه وحسناته ونواحيه المظلمة القاتمة وجوانبه المضيئة المشرقة ، وأصعب من الاسترسال فى الذم أو الاستغراق فى المدح محاولة بعث الحياة فى الصورة عن طريق تخير الكلمات المعبرة ، والمواقف الكاشفة ، والأفعال الدالة على جوهر الإنسان ومعدنه .

وفن كتابة التراجم شديد الاتصال من ناحية بالنقد الأدبى ، ووثيق العلاقة من

---

(١) السنخ الأصل والأس بفتح الهمزة الأصل .

ناحية أخرى بالتحليل النفسى ، والاقتصار على استجلاء معانى النصوص وتفهم معارض الأحاديث قد لا يكفى لاستبطان الدوافع وتمثل الحياة ، كما أن الإسراف فى التعويل على التحليل النفسى قد يغرينا بأن نقف من مختلف الشخصيات موقف الطبيب من المريض .

وكاتب الترجمة يرسم من زاويته المعينة ، ويستملى روح عصره الخاص ، ومن ثم تختلف الناس والعصور فى فهم الشخصيات وتصويرها ، ووزنها وتقديرها ، وكل باحث وكل عصر يؤكدان منها بعض النواحى ويكتشفانها ، وحياة كل إنسان عالم ضخم من الأفكار والتجارب والمشاعر والأحاسيس ، فغير غريب أن تتعاون العصور وتتوالى جهود الباحثين للاهتداء إلى دخائلها وتوضيح خفاياها .

على أدهم